

## تجليات الحوار في الخطاب السردي عند محمد مفلاح.

أ. زاوي أحمد / مركز الجامعي بغليلزان  
Ahzaoui31@yahoo.fr

### Résumé

Nous avons évoqué la formation de la langue du dialogue à travers le discours relaté et sa structure langagière, nous avons choisi des quelques écrits de Mohamed Fefleh car ils sont très riches en dialogue sociologique.

Et sans aucun doute le dialogue représente un champ fertile pour la théorie délibérative, c'est une structure langagière conçue pour le théâtre; ensuite l'auteur est passé par la nouvelle et par le roman.

### ملخص:

وقد آثرنا الحديث عن تشكل لغة الحوار من خلال الخطاب السردي من خلال بنيته اللغوية، ووقع اختيارنا على بعض روايات محمد مفلاح إذ تحوي قدرًا لا بأس به من الحوار الاجتماعي.

ولاشك أن الحوار حقل خصب لنظرية التداولية، وهو بنية لغوية للمسرحية ويعتل العمود الفقري فيها، ثم انتقل إلى القصة القصيرة والرواية .

000

### مفهوم الحوار ودلالته :

يعني الحوار في اللغة مراجعة الكلام بين طرفين متخاطبين، ويكان يجمع جل المعجميين العرب حول مفهومه، فأصل الكلمة الحوار في لسان العرب من ((الحور)) بفتح الحاء وسكون الواو )، وهو الرجوع عن الشيء والى الشيء، فيقال حار إلى الشيء وعنده حورا، وخارا وخاررة وحؤورا: رجع عنه واليه، والحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة )) . (1).

وي يعني الحوار في القاموس البحيط: الرجوع، كالمخار والمخارة، والحوور، والنقصان والحاورة والخورة: الجواب كالحوير وال الحوار ويكسر، والخيرة

والخوايرة مراجعة النطق، وحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم... والتحاور التجاوب<sup>٢</sup>.

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري (( حاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الكلام، وكلمته فما رد على حورة، وما أحار جواباً أي ما رجع )) (3). وقد اهتمت نظريات الاتصال الحديثة بالحوار، وكثيراً ما وصفوه بصطلاحات كثيرة كالاتخاطب والتفاعل والمحادثة، وإن كانت تتفاوت معانيها دلالياً، فإنها تنتهي في جملتها إلى حقل التواصيل الذي يشمل أسلوب الحوار.

ولا شك أن المتكلم والسامع يشكلان البنية الأولية للكلام، وبهما يكتمل التفاعل ويتطور، لأنهما يمثلان قطبي الحوار، ويتبادلان الأدوار، (( وكل منهما يقتضي الآخر بالضرورة، إذ لا يمكن أن نبلغ شيئاً ما دون وجود الآخر، ولا يكون هذا الآخر مستقبلاً أو ساماًعاً حايداً بل يكون فاعلاً، أي سائلاً ومجيباً في الآن نفسه )) (4)، لأن المتكلم يتتحول إلى سامع والسامع بدوره يتتحول إلى متكلم أثناء الحوار.

ويشكل الحوار باعتباره ظاهرة إنسانية عنصراً مهماً من عناصر التواصيل البشري، ذلك أن أي تفاعل بين طرفين أو أكثر يستوجب الفعل ورد الفعل، من أجل غاية إخبارية أو إقناعية أو تواصلية أو حجاجية. ويتشكل التفاعل التواصلي من مفهومين: مفهوم التفاعل interaction، ومفهوم التواصل communication. فالتفاعل هو مشاركة طرف في الكلام حول مضامين إنسانية معينة، أما (( التواصل فهو التبادل الكلامي بين شخص متكلم sujet parlant الذي ينتج ملفوظاً موجهاً إلى متسلم، وهذا المخاطب interlocuteur، يلتمس الاستماع أو الجواب الصريح أو المضمير حسب نمط الملفوظ )) (5).

ويعين التواصيل بهذا المفهوم الحالة التي يصل إليها الحوار بين متكلمين أو أكثر، كل منهما يسهم في عملية الحوار التي تتطلب مكونات لسانية تمثلها اللغة، وخارج لسانية يمثلها أطراف الحوار.

وقد ارتبط الحوار بأهم الدراسات اللغوية الحديثة التي تسعى لكشف كواطن النص الأدبي وتحليله ومقارنته، خصوصاً في الأعمال السردية والمسرحية التي يمثل فيها الحوار جزءاً هاماً من أحداثها ومشاهدتها، فالرواية فن يعتمد على الحوار الذي يجري بين شخصياتها، فتمثل إحداثها المرسل، وتمثل الأخرى المرسل إليه، فيتم التخاطب والتحاور بالتداول، ويجب الاهتمام

بالحوار الروائي الذي تبديه الشخصيات من خلال الكلام معية السارد، الذي فوضه الكاتب الحقيقي لهذه المهمة الفنية، أو بعزل عنه إذا كان هذا الأخير سارداً محايداً عن الشخصوص، مراقباً للأحداث من بعيد.

#### قواعد المحادثة أو (الحوار) :

اهتم جل علماء اللغة بالمحادثة، ومنهم (لابوف / laboof) و(ترودجل / Trodgeel) و(هدسن / Haydson) وغير هؤلاء كثير، وأوجدوا لها نظاماً، أما (بول غرایس / Poul Ghrayes) فاقتصرت عددة مبادئ للمحادثة هي:

- 1 مبدأ التعاون: ويقوم على مساهمة المتكلم وفق ما يقتضيه الحال أثناء الحديث فيشارك فيه ويفعله، ويعرض أفكاره ويستفيد من الآخرين .

- 2 - مبدأ الكلم: ويتمثل في كلام الفرد في موضوع ما، فلا يختر السامع بما يعرف، بل يفيده بما يجهل، أو يشكك في صحته، ولا بد أن يتكلم بالقدر والكم المطلوبين، فلا يخرج عن الموضوع، كما يجب أن تكون عباراته واضحة دقيقة حتى لا ينحرف عن المقصود، وحتى لا يساء فهمه.

- 3 - مبدأ القيمة: ويهدف هذا المبدأ إلى الصدق في الكلام مع الغير لكن المحادثة غالباً ما تتضمن الكذب وفق ما تقتضيه الأعراف الاجتماعية كالحملات والمدح.

- 4 - مبدأ العلاقة: ويقصد به أن يكون كلامنا متعلقاً ببعض، ويكون مناسباً، فلا نتكلّم أشياء لا يقتضيها المقام، أو نخرج عن الموضوع لأن ندمج معلومات لم يكن أوانها .

- 5 - مبدأ الكيف (الأسلوب): وهو مبدأ يقوم على الوضوح في الكلام، والابتعاد عن اللبس والغموض. ولابد للمتحاورين من الإجاز في الحديث والترتيب في الأفكار حتى ينجح الحوار، وكثيراً ما يتم الكلام تلقائياً، حيث لا يراعي أحد المتحاورين هذه المباديء، فيتدخل آخر ليصحح، أو ليستدرك ما نسي، كان يقول أحدهما أنا لا أفهم شيئاً مما تقول، وربما يقع الحوار في انسداد، أو يتحول إلى مشادات كلامية.

وتتتموقع دراسة وتحليل المحادثة والحوار ضمن علم اهتم به علماء الاجتماع هو علم النص أو علم الخطاب ، وقد اهتم علم اللغة الاجتماعي، باللغة المنطقية عامة، والمحادثة خاصة، وذلك لعلاقته المتينة بالتفاعل الاجتماعي، وما تزال الدراسات في هذا المجال في أول الطريق كما يقول هدسون،

لأن السلوك اللغوي التخاطي، ذو بنية خاصة، مختلف عن الملفوظات الأخرى، لأنها خطاب قائم بين الفعل ورد الفعل.

ووضع المختصون علم اللغة الاجتماعي، الحادثة أو الحوار ضمن سلاسل كلامية مختلفة ومتنوعة، وصنفوها في أنماط هي على النحو الآتي:  
**النمط الأول:** (سؤال وجواب)، وهذا النمط نصادفه بكثرة في الأعمال الروائية، وقد تجلّى بوضوح في روايات محمد مفلح ومن أمثلته هذا الحوار.

الضابط: ما اسمك ؟ -

حمد الفلاقي -

الضابط: ماذا تفعل هنا ؟ -

- هربت من الجوع، لي زوجة وثلاثة أطفال، ولكن ليس لي أي دخل (6).

**النمط الثاني:** وفيه يمكن أن يكون الجواب سؤالاً، ويمكن أن يحدث عكس ذلك، كما يبدو في الحوار الآتي:

قال حماد لزوجته: لم كل هذا البكاء ؟ -

- وقالت فاطمة: إني خائفة يا حماد ... قد يقتلك الوحوش ؟ -

قاطعها حمد قائلاً: يا فاطمة إنك تعذيبين بخاوفك هذه ...

- فكر في أولادك.

- وماذا أفعل لهم ؟ (7)

**النمط ثالث:** وهي سلسلة شائعة تتبع من طلب (نداء، دعوة) وإجابة كما يظهر هنا

- مد منصور يده وقال: لا تسخر من إذا أفضيت لك بسر.

- كيف أسخر من أسرار سي منصور ؟

- لابد أن نشرب قهوة أولاً، ثم سأحدثك بما يشغلني (8).

ولقد وجدنا أنماطاً أخرى من الحوار غير هذه في روايات محمد مفلح منه ما يظهر في هذا المقطع الحواري :

- أنت رائعة ... رائعة وشهية ك ...

- كقنيةة حمر ...

- وقالت له مبتسمة: قضت عليك ربعة (9).

ويتضمن هذا الحوار إخبارا بما يشعر به المتكلم نحو المخاطب، ولا يحتاج إلى سؤال، وكذلك جوابه يكون حسب السياق، لا ردا على جوابه مثلاً: أنا لست كما تتوهمين أو غير ذلك، وإنما هي تنبهه بحب رببيعة التي سلبت لهه.

وهناك سلاسل حوارية أخرى درسها (هدسن)، وتمثل في تحية اللقاء التي تعد مدخلاً للحديث، وهي البوابة التي ينطلق منها الخطاب بين المتكلمين وعبارة النهاية وتدل على الخروج من الحوار، وتمثل في عباره الوداع، وتلعب عباره المدخل والمخرج أهمية بالغة في التفاعل بين المتكلم والمخاطب (10).

ولكن ليس بالضرورة أن يبدأ المخاطبان الحوار دائماً بالتحية، ويختتم بالوداع، فكثيراً ما يحدث الحوار دون ذلك خصوصاً في الأماكن العامة كالcafes، والمقاهي والأسواق، ومثل هذا وارد في روايات محمد مفلح، كقوله على لسان سارديه في هذا المقطع ((تابعت سيرها، قطعت مسافة طويلة ... النقت برجل كان يدفع عربة، فسألته عن بيت جلول الكي ...

- هل أنت والدته ؟

- هرت مريم رأسها وهي تقول: لا ..

- فقال مخشونة: قهرنا الوحش وكدر حياتنا .

ثم سألهما بعطفه: وماذا فعل لك هذا الوحش ؟ هل سرقك يا خالة ؟

- تمنت مريم بلوغة: - أنا أخته .

- ... العفو يا خالة )) (11).

ولا نكاد نلمح في هذا المقطع عباره الدخول، لأن السياق الاجتماعي لا يقتضيه، فمريم كانت في الشارع محتارة، فهي لا تعرف الرجل الذي سألته، فلم يكن الوقت كافياً حتى تطيل معه الحوار.

وغالباً ما يبدأ الحوار بالتحية دون الوداع، أو يبدأ بدون التحية وختم بالوداع. فالسياق الاجتماعي هو الذي يمكن المخاطبان من ذلك. ومثل ذلك ما نجده في هذا المقطع:

((ألقى التحية على نعيمة بلهجة متلعلمة: - نهارك سعيد يا نعيمة .

رمقته بنظرة ذات معنى، ولم ترد على تحيته ... اقترب منها وقال لها :

- اشتقت إلى رؤيتك، ومد نحوها يده اليمني قائلاً :

- تعالى تعالي ... لقد قررت أن أغير حياتي .

- وأشارت إليه أن يبتعد عنها، جمد عواد الروجي في

مكانه وقال لها بحزن :

- أنا أريدك على سنة الله ورسوله ...
- أنا لن أقبل بك زوجا ... )) (12)

والمتأمل لهذا الحوار، يجد أن عبارات اللقاء أو الوداع قد تنعدم من أحد المخاطبين في ظرف كهذا، لأن السياق الاجتماعي يتحكم في مثل هذه المواقف، فعود الروجي قد غامر باقتراحه من المرأة ليغازلها، ويطلب يدها للزواج، فالموقف العاطفي لا يفتح شهية الحوار، إذ عمد الطرف الآخر لخلق الحوار، فأصبح مبتوراً خالياً من التفاعل المطلوب، ولو أن المرأة تجاوبت معه وكان لها رغبة في ذلك لاكتمل الحوار وطال بينهما .

ويشير (هدسن) من ناحية ثانية، أن ((ثمة نوع من البنية في الخطاب الحواري، تعتمد على موضوع الحديث، والغالب، أن المتحدثين يغيرون من موضوعاتهم، من خلال تبادل الأدوار، وبنية هذا النوع هرمية غالباً، ينتقل فيها المتحدث من بنية كبرى إلى بنية صغرى بصورة متدرجة، وهذا صعب إلى حد كبير)) (13)

وأغلب الطن أن الظروف العامة للمتحدثين، والسياق العام هو الذي يتتيح انتقال المتحدثين من الموضوع الأهم، إلى مواضيع أخرى تنتهي إلى نفس حقله المفهومي، دون أن نسيان عامل الزمن الذي يسمح أو يمنع مثل هذا الانتقال أثناء الحوار .

لكن من الصعوبة بمكان، أن يكون الانتقال متدرجًا، هذا التدرج الذي أشار إليه (هدسن) أثناء الحوار يكون نادراً، إذ تغلب العشوائية عليه خصوصاً لدى غير المثقفين ثقافة واسعة .

وقد يتم الانتقال ضمن الموضوع الواحد إلى مواضيع شتى، وفي محادثة رجلين عن الفلاحة مثلاً، تتوقع أن يتناول المشاركون مثلاً (الأمطار والمنتوج والحضرات الضارة وديون الفلاحين) وغير ذلك كثير.

ونحسب أن هذا النوع من الحوار قد يتواجد في الرواية، لكنه لا يكون متصلة، بل متقطعاً في صفحات النص الروائي أثناء سرد الراوي للأحداث .

وتقوم الحادثة أو الحوار على تبادل الكلام بين الأطراف المتكلمة بالتداول، فيعبر كل منهم عن رأيه، ويبدي وجهة نظره. لكنه كلام يتطلب التنظيم، إذ يتكلم كل واحد بالتناوب، ويسمع لغيره، وإذا كان الكلام عشوائياً، فإنه لا يرقى إلى مستوى الحوار الجاد المنظم، وقد أكد علماء اللغة المهتمين بالحوار أن ((التناوب في الحادثة نشاط يعبر عن مهارة باللغة، وأنه يتطلب

دراسة أنواع عديدة من النشاط المصاحب للكلام، بالإضافة إلى الكلام نفسه مثل حركة العينين، حيث تكون هذه الأنশطة كلها متناسقة، ومتزامنة من ناحية التوقيت الدقيق، كما تكون ردود أفعال المشاركين فيه غاية في الدقة والانتظام (14)).

والحوار الناجح الذي يشير إليه محمد حسن عبد العزيز في هذا القول، هو تلك الحادثة التي يتكلم في صلتها المتحاوران بالتناوب، بحيث يتكلم الواحد منهمما بالقدر الذي يسمح به الموضوع، والوقت والسياق، ثم يترك مجالاً للأخر ليعقب عليه، أو يفهمه أو يشرح له أو يخبره .

#### **الحوار غير اللفظي :**

ويصاحب الحوار نشاطات أخرى مثل حركة اليدين والعينين، وتقطيب الوجه، وحركات الرأس، وختلف الإيماءات، لأنها بثابة الكلام، بل هي لغة جسدية يبديها المتكلم أثناء حواره مع الآخرين، ولابد للحوار أن يكون منتظماً دقيقاً، بحيث لا تتعدد مواضعه دون أن يعطى الموضوع الأساسي حقه من الكلام.

#### **الحوار من خلال حركات الجسم:**

لاشك أن الإشارات الجسمية كثيرة، وغالباً ما تصحب اللغة المنطقية أثناء الكلام، وتدخل ضمن بنية اللغة الحوارية، و(هذه الإشارات ذات أهمية في تحليل النص المنطوق ... ولوحظ أن هذه الإشارات تزيد في التواصل اللغوي ذي الوظيفة الاجتماعية، وتقل في أنواع أخرى من النصوص الشفاهية، لكن إغفالها عند التحليل قد يؤثر بعض الأحيان في الوصول إلى المعنى المقصود) 15.

ومعلوم أن الإشارات والحركات الجسمية باختلاف أنواعها وكثرتها تصاحب الكلام اليومي، وتظهر بجلاء من خلال حوار الأفراد، ونستطيع عدها بنية ضمن بنيات الحوار الإنساني .

وقد قسم جمان عبد الكريم الإشارات الجسمية المصاحبة للنص اللغوي مستفيداً من غيره إلى أربع أنواع :

1 – الإشارات الجسمية الإنسانية العامة: وهي إشارات تصاحب الكلام وتأتي بصورة عفوية وتشترك فيها جميع الشعوب، وتعبر عن الحالات النفسية الناتجة عن الحياة الاجتماعية .

**2 - الإشارات الجسمية الخاصة:** وهي إشارات تخص شعبا معيناً أو طبقة خاصة أو قوماً في مجتمع ما، ويختلف تفسيرها من ثقافة إلى أخرى .

**3 - الإشارات الجسمية الفردية:** وهي عبارة عن حركات وإشارات يبديها بعض الأفراد أثناء كلامهم، وغالباً ما تكون مبتكرة مثل استخدام اليد والأصابع أثناء الكلام .

**4 - الإشارات التوضيحية:** وهي إشارات يقوم بها الفرد مستخدماً بعض أعضاء جسمه مثل اليدين، لتوضيح شيء ما أو شرح موقف معين.<sup>16</sup> ويستفاد مما سبق، أن الحركات الجسمية والإشارات هي بنيات مهمة من بنيات اللغة أثناء الحوار، وأنها تختلف من مجتمع لآخر، والمجتمع الجزائري من المجتمعات التي يستخدم أفرادها حركات الأيدي والأصابع أثناء الكلام، لاسيما سكان الناحية الغربية من الوطن .

وسننهم في هذا البحث بشخصيات محمد مفلح التي وظفها في رواياته، والتي حاول أن يستنسخها من واقع مدينة غليزان، ويعبر عن واقعها المعاش. وسنركز دراستنا في هذا البحث عن أهم أعضاء الجسم التي تسهم في تشكيل بنية لغة النص الروائي، ومن أهم هذه الأعضاء :

**1 - تعبيرات الوجه:** يعد الوجه من بين أهم أعضاء الإنسان، وغالباً ما يكون ناطقاً أو يؤدي بعض الإيماءات للتعبير على شيء ما، لأنه بمثابة المرأة التي تعكس الصور

ولغته صامتة غير لفظية، كما ود في الحكمة المأثورة: (( ما من رجل أضمر شرا إلا وظهر في فلتات لسانه وقسمات وجهه ))، ف((معنى الجملة لا يتحدد دائماً وبشكل مطلق بصفاتها ومعناها القواعدي، فهناك مؤشرات خارج الجملة قد تؤثر في معناها قليلاً أو كثيراً، ومن هذه المؤشرات ... انفعالات الوجه، وكثير من هذه الانفعالات تظهر في العينين ... كما تظهر الانفعالات في الشكل الذي تتخذه الشفتان سروراً أو حزنا ))<sup>17</sup>

**2 - حركة العينين:** غالباً ما تؤدي حركة العين لغة خاصة تعرف بلغة العيون، وكلما تغيرت حركتها من وضعية لأخرى، تفييد معنى معيناً فأثناء أي (سؤال أو استغراب أو إنكار أو غير ذلك غالباً ما يصاحبها تعبيرات الوجه، وفي السؤال يكون هناك رفع لل حاجبين قليلاً إلى الوراء وفتح مع سكون لحظي لحدقة العين مع شد عضلات الجبهة إلى الخلف، وهذا الوضع يزيد شدة التعجب والإنكaran)).<sup>18</sup>

وقد وجدنا محمد مفلح يوظف هذا النوع من الحوار غير اللفظي، في بعض المواقف من حوار الشخصيات، ومن أمثلة ذلك حوار عباس البري مع كاتبة الوزارة التي تكلم معها طالبا زيارة صديقه الذي يشتغل بها :

((استقبلته السكرتيرة الحجبة بابتسامة باهتة فقال لها بأدب جم :))

- أنا عباس البري صديق السيد فايز.. أريد مقابلته.

حركت السكرتيرة حاجبها المقوسرين بعنابة وقالت له بسرعة :

- إن السيد الشكوري في مهمة.

قال لها عباس باطف :

- لقد وعدني بمقابلته في أي وقت.

هرت السكرتيرة أسمها متعجبة وقالت له ببرودة: سيسألوك بعد عودته ((19)).

ويظهر من هذا الحوار الذي تصاحبه حركات العين، ففي البداية لما حكت الكاتبة حاجبها إغا عبرت عن تذمرها ومللها من كثرة الزوار الذين يقصدونه مكتب الوزارة يوميا لقضاء مصالحهم، وتدل حركة هز الرأس على لغة غير منطقية مفادها أنها تقول ((أتعجب من تصرف السيد الشكوري الذي يعد معارفه بالزيارة ويختبئ في مكتبه)) فكانت تحس بالخرج في موقف كهذا.

3- حركة هز الرأس: من الصعوبة مكان أن نعزل هذه الأعضاء عن بعضها، لأن الرأس هو عضو يضم الوجه والعينين، لكننا نعزلها فقط لكي نعيين لغة كل حركة على حدة، ثم لأن كل عضو يشتغل ويفيد وظيفة لغوية معينة .

وقد أشرنا سابقا أن شخصيات محمد مفلح الروائية، قد عمدت إلى حركة هز الرأس بكثرة، وقد وجدنا في رواية شعلة المايدة حركة هز الرأس تغيّر عن الجواب أحيانا، ومن أمثلة ذلك حوار راشد مع الشيخ التواتي :

((وقال له الشيخ التواتي بإعجاب:))

- أنت من قبيلة عتيقة، وهز رأسه ثم تابع قائلا :

- أتعلم أن من يتولى قيادة هذه القبيلة يصبح مؤهلا لتولي منصب الباي ... أتعلم ذلك ؟

- هز راشد رأسه دون أن يتكلّم ((20))

وهر الرأس دليل على الموافقة، وتؤدي هذه الحركة وظيفة الكشف عن أدب وأخلاق راشد أمام الشيخ التواطي، دون أن يخبرنا السارد بذلك. ونجد في رواية عائلة من فخار حوارا غير لفظي من خلال الحركات التي كانت تبديها خروفة في حوارها مع جيلالي العيار الذي خاطبها قائلا:

- أخفيت عن بعض أسرارك

مررت خروفة يعندها على وجهها الدائري ثم سألته باستنكار :

- عن أي أسرار تتحدث ؟

- ألم تكن لك علاقة بأستاذ جامعي ؟

وضعت خروفة يعندها على جبينها العريض وراحت تحملق في وجه الكهل .. إلى أن قال لها :

- أهازلت تحيينه ؟

قططأت خروفة رأسها، وقالت له بصوت خافت :

- هل أصبحت تحقق في ماضي؟ 21.

إن خروفة قد اعتمدت على حركات جسمية في حوارها مع خطيبها جيلالي العيار. وقد أدت كل حركة وظيفة معينة، فعندما مررت يعندها على وجهها كأنها كانت تقول له: أستنكر ما تتهمني به، ونلحظ أنها لم تجده مباشرة على سؤاله، لأنها كانت تخفي عنه سر علاقتها برجل آخر. ولما سألها عن علاقتها بأستاذ جامعي، لم تجده بـ (نعم) أو (لا) مباشرة، فقد وضعت يعندها على جبينها العريض وكأنها تقول له بتلك الحركة: غريب أمرك كيف عرفت ذلك ؟ ووظيفة هذه الحركة أنها كشفت عن دهشتها وعجبها، وهي جواب غير لفظي.

وأما قوله لها: أهازلت تحيينه؟، فكان جوابها الأولى (أن ططأت رأسها)، وكأنها تقول له: أخجلتني، أو لم تخرجني بهذا السؤال ؟

وقد أدت هذه الحركة الجسمية وظائف مهمة على مستوى الحوار منها أنها أجوبة صامتة غير ملفوظة، كما أنها كانت تغيير عن الجواب اللفظي أحياناً، وكانت تكشف عن شخصية خروفة وموافقتها وأسرارها، لأن السارد لم يتسع له الإخبار عن ذلك أثناء الحكي .

#### 4 - حركات الجسم المختلفة :

وهي حركات متعددة قد تصاحب الكلام الملفوظ غير الأعضاء التي تحدثنا عنها، كتحريك الأيدي والأصابع ووضع الأيدي في أماكن مختلفة من

الجسم، وقد تنوب تلك الحركات عن اللغة المنطقية بإشارة يبديها المتكلم ليفهم المرسل إليه ما يريد.

وقد وجدنا في رواية (انكسار) شيئاً من ذلك، وهذا من خلال حوار عباس البري مع صديقته جويدة التي بدأت الحوار (( قائلة بحزن :

- سأجبيك بصدق عن كل أسئلتك .

- وضع عباس يديه تحت ذقنه وسألها :

- من يكون هذا الرجل الذي طلب مني أن أبتعد عنك ؟

- لست أدرى قد يكون أحد معارفي .

نهض عباس وأومأ إليها أن تجلس ولكنها هزت كتفيها وتحركت نحو الباب...

لم تتبس جويدة بكلمة، ولكنها رمته بنظرة قاسية ...

- ... كلنا ضحايا

هرت جويدة رأسها وركبت سيارتها )) 22

إذا أردنا أن نخلل هذا الحوار، وتأملنا عبارة ( وضع عباس يديه تحت ذقنه وسألها عن الرجل ) نجد ذلك الحركة رسالة غير ملفوظة، وكأنه يقول لها: لا أستطيع أن أصدقك أو أثق فيك، أو أنت مخادعة وكاذبة .

وهذه الحركة الجسمية قد صاحبت كلام عباس البري، وبدونها لا نشعر ب موقفه من هذه المرأة .

ونجد في عبارة: ( وأومأ إليها أن تجلس ولكنها هزت كتفيها)، حركتين جسميتين من شخصين مختلفين، فكأنها قالت له لما ( هزت كتفيها ) لا أستطيع أن أبقى مع رجل مثلك، ووظيفة هذه الحركة عدم الرغبة فيمواصلة الكلام، فكان الكلام بين الطرفين بحركات جسميتين، لكنهما تؤديان طلبا وجوابا في صمت تام .

ولاشك أن غضب الرجل و Yas المرأة هو الذي جعل كلاهما يصمت، ويعبر بحركة جسمية غير منطقية .

وكذلك تدل الحركة الجسمية الأخيرة ( هزت جويدة رأسها وركبت سيارتها )، كأنها تقول له بهذه الحركة: أنت جنون، أو أنت غريب الأطوار . كما نجد في الرواية نفسها وفي موقف آخر عباس البري يقرأ جريدة، فيفاجأ بخبر وفاة أحد جيرانه ف ( عض عباس شفته السفلي، ثم وضع كفه على جبينه، واستغفر الله )، فهذه الحركات الجسمية التي أبداها عباس، إنما هو

كلام قاله لنفسه لكنه غير منطوق، فكأنه قال لما عض شفته السفل: إن الموت يتربص بكل حي، أو ربما قال: لماذا لم أسع بعوت جارنا؟ وقد تدل حركته الثانية لما (وضع يده على جبينه) على ندمه وحيرته، فكأنه كان يقول: الله يرحمك يا جاري، أو يقول: كلنا سنبموت لا محالة . إن هذه الحركات الجسمية قد تحدث لا إراديا، ويختلف حبوتها من شخص لآخر، وغالباً ما تحدث أثناء تواصل الإنسان وحواره مع غيره ((وتعبر أوضاع الجسم المختلفة عن إشارات دلالية معينة، بدءاً بالرجلين وانتهاء بقذال الرأس، بل إن الجسم في حال سكونه قد يكون معبراً عن معان))<sup>23</sup>.

ومن هذا المنطلق، يجب أن ندخل الإشارات المختلفة والإيماءات، و مختلف الحركات التي يستخدمها المتكلمون بقصد أو بغير قصد، ضمن بنية لغة الخطاب الحواري، لأن هذه الحركات تسهم بقسط كبير في إيضاح المعنى على حقيقته، وعليه ((فالحركات المصاحبة للكلام والإشارات اليدوية والتعبيرات الجسدية المختلفة، وبافي الأيقونات التواصيلية - على تنوعها واختلافها - تساهم بشكل فعال في نقل الرسالة اللغوية وتعزيزها، وتسهيل عملية فهمها من قبل المستمع/المتلقى ))<sup>24</sup>.

ويستفاد من هذا القول، أن أهم وظيفة تؤديها تلك الحركات والإشارات، أنها تسهم في نقل الرسالة من المتكلم إلى المتلقي، وتسعف هذا الأخير في فك شفراتها وفهم معانيها، لأن الكلام وحده من دون إشارات قد يكون غير واضح أحياناً، لكن تلك الإشارات تكمله وتعزز فهم الطرف المخاطب، كما أن تلك الإشارات وحدها غير كافية في عملية التواصل إلا في لغة الصم البكم الذين يجدون صعوبة في التواصل مع أفراد المجتمع .

ويؤكد الباحثون في مجال المحادثة وتبادل الكلام، أن ثمة نوعين من الترتيبات المتصلة بتبادل الحديث، وهي :

- أن يختار المتكلم بالفعل من يتكلّم في إطار الحوار كأن يقول مثلاً: ولنستمع الآن إلى رأي فلان في الموضوع، وهذا ما نلاحظه في الحوار الذي يذاع في الإذاعة أو التلفزة عادة .

- أن يبادر المتكلم الذي أتيح له الكلام إلى البدء بالحديث، ويمكن أن يخبر أحد المتحاورين بعدم الانتهاء قصد عدم مقاطعته، وهنا يستعمل العبارات التالية ( ومع ذلك، ومن ثمة، وعندئذ، ولأجل ذلك... )، وهي عبارات تدخل

ضمن بنية لغة الحوار، كما يمكن للمتحدث أن يعلن أنه لا يزال يتalking، كأن يقول مثلاً: ( وأختصر قولي في نقطتين، أو حتى لا أطيل عليكم... وغير ذلك). ويعد التناوب في الحديث أثناء الحوار من الأهمية بمكان، وذلك حتى يتمكن كل طرف من الكلام، ويعتمد التناوب على توزيع المعلومات بين المشاركين في المحادثة، ويعرض كل من المتحاورين الكلام المناسب، ويبدي رأيه في الموضوع، ويستخدم الحجج والبراهين لإقناع الآخرين، ويصطلاح على هذا التناوب (الأزواج المتوازنة)، وهو عبارات يطلقها أحد المتحدثين، وتتطلب إجابة معينة من المتحدث الآخر (25).

وتعد البنية الحوارية التي تتكون من (سؤال وجواب)، أو تحية تعقبها تحية، أو شكوى يعقبها اعتذار، أو دعوة يعقبها قبول أو رفض ... (26) بنية مهمة من بنيات الحوار المنتظم.

ومن أمثلة ذلك ما نجده في روایات محمد مفلح في هذا الحوار الذي دار بين موسى وعواد الروجي:

نهارك مبارك يا سي موسى . -

فرد موسى التحية باسمه وسأله ضاحكا : -

لقد أتعجبت هذه العربية اللعينة. -

هذا حظ المزلوط مثلبي ... -

ضحك موسى فقال له عواد الروجي : -

ومتنى تشبعنا طعاما ؟ -

- في الأيام القريبة إن شاء الله. (27)

والتأمل في بنية هذا المقطع الحواري، يلحظ أنه يتآلف من أزواج متوازنة، حيث يتم فيه الكلام بالتناوب، وفيه التحية وردتها، كما أنه يضم أسئلة وأجوبة أحيانا صريحة وأحيانا تفهم من سياق الكلام، ففي جواب سبي موسى قال: (هذا حظ المزلوط مثلبي)، ولم يقل: نعم لقد أتعجبت هذه العربية، لأن التعب ظاهر عليه ومن كلامه نفهم قوله لم يصرح به ( لو كنت غنيا لاشترت شاحنة، أو توقيت عن هذه الحرفة اللعينة ).

ويرى علماء النفس الاجتماعي، أن الحوار أو المحادثة تشكل أهم أشكال التفاعل الاجتماعي، فهم يرون أن ((الحوار أو المتكلم غالباً ما يجري حواراً داخلياً مع ذاته محاولاً من خلال تخيل الأسئلة التي يتوقع أن يطرحها

المشاركون في الحوار، كما يحاول أن ينتقي الأجوبة التي يراها أكثر ملائمة وإنقاذاً (28).

ويرى هؤلاء العلماء أن ثمة شروطاً كلما تهيات للمتحاورين كلما كان الحوار نافعاً بناءً، ناجحاً، وهي المعرفة بموضوع الحوار وقوانيشه، ووسائله، والإرادة والرغبة في الحوار والرغبة في الإصغاء، والقدرة على الحوار من خلال مستوى اتفاقهم الثقافي والعلمي الذي يؤهلهم للمشاركة في الحوار.

ويعد الحوار السياسي المتلفز خير مثال نضربه في هذا المقام، من خلال حرص تعنى بالتحليل السياسي عندما يجمع منشط الحصة شخصين أو أكثر، قصد معالجة موضوع ما، حيث يتصل بهما مسبقاً ويخبرهما بالموضوع، فيه كل منهما نفسه ويحضر الإجابة لما يتوقع أن يسأل عنه، كما أنه يحضر أسئلة للطرف الآخر لذلك يظهر لنا مثل هذا الحوار بالنجاح.

#### خاتمة:

وخلص القول في هذه المقالة، أن الحوار من أهم بنيات اللغة، سواء في الكلام اليومي أو في الخطاب الأدبي من خلال الرواية والقصة القصيرة والمسرحية.

ونظراً لأهمية الحوار، اهتم به علم اللغة الاجتماعي، والتداولية، وتحليل الخطاب وغيرها.

ولم يعد الحوار تلك البنية السردية التي يدمجها المخلدون والدارسون في السرد، ولم يعد بنية مستقلة عن السرد، ولم يعد يعطى السرد، ويوقف الزمن كما كان في الدراسات الكلاسيكية. فقد تبوأ الحوار مكانة مهمة في الخطاب السردي، وأصبح يسمى في دفع عجلات السرد، ويؤدي عدة وظائف منها أنه يضيء بعض الجوانب المظلمة في النص الأدبي فيخبر عن بعض الأحداث التي أغفلها السرد.

لذا اشتغلت عليه التداولية، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم لغة النص وتحليل الخطاب، وكذا علم النفس خصوصاً إذا تعلق الأمر بالحوار الداخلي مثل المونولوج، ومناجاة النفس، وتيار الوعي وأحلام اليقظة.

ولم أتطرق إلى الحوار الداخلي في هذه المقالة، لأنني سلطت الضوء على بنية اللغة الحوارية الشكلية، وتقنيات الحوار الخارجي من خلال بعض النماذج الروائية لـ محمد مفلح، كون رواياته تهتم بالحوار الخارجي، لأنها تعالج الواقع الاجتماعي بما فيه من مشاكل وهموم في منطقة غليزان.

## الإحالات :

- (1) - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الانصاري، لسان العرب، ج 2، بيروت دار صادر 1997 م، ص: 182 .
- (2) - مجذ الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس الخيط، ج 2، ص: 151 .
- (3) - الزخشي، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، أساس البلاغة - تحقيق: عبد الرحيم محمود د.م انتشارات دفتر تbiligat الامير، د. ت ص: 98 .
- (4) عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب 2006 ، ص: 200 .
- (5) محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، المغرب، ص: 15 .
- (6)- محمد مفلح، الأعمال غير الكاملة، دار الحكمة، الجزائر، 2007 ص: 224 .
- (7) محمد مفلح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 255 .
- (8) محمد مفلح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 38 .
- (9) محمد مفلح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 58 .
- (10) محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الاجتماعي مكتبة الآداب، ط 1، القاهرة 2009، ص: 215 .
- (11) محمد مفلح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 288 .
- (12) محمد مفلح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 130 .
- (13) محمد حسن عبد العزيز، المرجع السابق، ص: 216 .
- (14) محمد حسن عبد العزيز، مرجع سابق، ص: 217 .
- (15) جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء 2009 ص: 453 .
- (16) جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، المرجع نفسه، ص: 455 .
- (17) محمد علي الخولي، علم الدلالة ( علم المعن ) ، دار الفلاح صویاح، الأردن، 2001، ص: 70 .
- (18) جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، المرجع نفسه، ص: 457 .
- (19) محمد مفلح، رواية انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2010، ص: 87 .
- (20) محمد مفلح، رواية شعلة المايدة، دار طليطلة للنشر والتوزيع، ط 1، 2010، الجزائر، ص: 39 .
- (21) محمد مفلح، رواية عائلة من فخار، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط 1، 2008، ص: 82 .
- (22) محمد مفلح، رواية انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2010 ص: 101 .

- (23) جمعان بن عبد الكرييم، إشكالات النص، المرجع نفسه، ص: 458 .
- (24) احمد اسامييلي علوي، التواصل الانساني، دراسة لسانية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013، ص: 60 .
- (25) محمد حسن عبد العزيز، المرجع سابق، ص: 217 .
- (26) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: عام حسان، عالم الكتب، ط 1، 1998 ن القاهرة، ص: 506 .
- (27) محمد مفلاج، رواية انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010، ص: 196 .
- (28) عبد الفتاح دويدار محمد عبد الفتاح، سيميولوجية الاتصال والإعلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979 ، ص: 62، 68.